باليت المدى

▪ ستار كاووش

كلنا كذابون ياصديقي

أتخيل شخصاً يدخل حقلاً مليئاً بالزهور، وبذهنه نوع واحد من الورد، لا يحيد عنه ولا ينتبه الى الانواع المدهشة التي تملأ عطورها المكان برمته، لا ينظر الى جمالها ولا يريد ان ينشغل به اصلاً. لا يحاول ان يكتشف مناطق جمال تختلف عن التي يعرفها ولا يكلف نفسه بفتح نافذة جديدة حتى وان كانت تطل على كل مروج الارض والوانها وفتنة زهورها. يتعصب لوردة واحدة لا غيرها، وردة ربما هي اقل عطراً وجاذبية وتأثيراً من باقي الزهور، لكنه منشغلٌ بها طوال الوقت فلا يرى باقي الجمال الذي يحيطه، وبهذا تذهب فرص كثيرة لاكتشاف مواطن جمال وافرة، وتفلت من اليد متع لا تُعَدَ ولا تُحصى. المسألة هنا ليست لها علاقة بالوفاء أو الولاء لجمال معين، بل بالتعصب الاعمى الذي يغشي البصر ويمحي مناطق من الذائقة، التي حتى لو حاولت ان تنفتح على مناطق اكثر إتساعاً، فهذه الوردة تقمعها وتغلق امامها الابواب والستائر، وهنا كلما إزداد التعصب قلّ الجمال وَمُحيَت الذائقة.

هذا ما يحدث بالضبط للفنان الذي يتعصب للطريقة التي يرسم بها فقط او ينفذ بها اعماله، لا يرى غير وردته حتى وان ذبلت. لا يفتح نافذة مرسمه ليطل على جمال اعمال الآخرين، ولا يُعجب بها ابداً. هو لا يريد ذلك بكل الاحوال، ولا يؤمن سوى بشيء واحد، وهو ان ما يقوم به هو الاعظم والاجمل، وهو الصراط المستقيم نحو روح الفن ومبتغاه. وما يراه في وردته هو حقيقة الجمال والمثال النهائي للفن الذي يجب ان يكون. ليس هناك اكثر غرابة وسريالية من احكام كهذه، بل ليس هناك أشدُّ من ذلك كتاتورية وإنحرافاً عن جادة الفن الذي خُلِقَ ليكون متنوعاً.

هَل علينا أن نسير كلنا في طريق واحد، نتزاحم فوقه كتفاً لكتف، لنتأخر جميعنا بالوصول الى أهدافنا؟ وننسى أو نتناسى عن عمد ان الفن لم يكن سوى ساحة مستديرة تؤدي الى عدة طرق واتجاهات. الجمال في التنوع، واهتمام الفنان بما يقوم به غيره، المختلف عنه، هو دليل على ثقته بنفسه ومرونة ذائقته وتعدد حلوله البصرية. ذات مرة فاجئت فرانسوا زوجها بيكاسو بسؤال مباغت (ماهو رأيك بأعمال شاغال؟) فأجابها اعظم فناني عصره (ربما لا أكون محباً للحمير الطائرة أو الديكة التي تعزف الكمانات، لكن هذا الشاغال بالنسبة لي هو اعظم مُلوِّناً رأيته بعد ماتيس).

أحياناً، يقول البعض ان هذا أو ذاك الفن طليعياً ويمثل هذا الوقت! أرى ان الفن الجميل طليعياً بالضرورة، وليس للوقت علاقة بذلك. الفن حين يكون مؤثراً وجميلاً ويداعب الروح، فهو طليعي ويبقى حياً في كل وقت، كما قال فنسنت فان غوخ وهو يكتب لأخيه تَيّو حول لوحة ريمبرانت العروسة اليهودية، التي مضى على وجودها اربعمائة سنة تقريباً (انا على إستعداد للبقاء واقفاً امامها اياماً طويلة دون حراك، حتى وان لم يكن معي سوى الماء والخبز).

يبقى الفن في النهاية عبارة عن كذبة بصرية، والفنانون يحاولون جاهدين لجعل الآخرين يصدقون كذباتهم الملونة ويتفاعلون مع جمال شكلها وطريقة تنفيذها وطرحها، فلا تجعل كذبتك ايها الفنان هي الكذبة الوحيدة التي امتلكت ناصية الجمال، فكلنا كذابون ياصديقي على قماشة الرسم، وماتراه من نساء جميلات وخيول تعبر البراري ومناظر عن المدن والريف، وحتى ايماءات العشاق او انعكاس الأشجار على صفحات الماء وغيرها الكثير، غير موجودة في حقيقة الامر، والمسألة لا تتعدى قطعة من الكانفاس وُزِّعَتْ فوقها مجموعة من الالوان والخطوط بطريقة خاصة تناسب مزاج الفنان والمؤثرات التي تحيط به، وتلائم خبرته البصرية وحساسيته في التعامل مع ادوات الرسم. والعملية كلها في النهاية، نوع من التجريد شئنا أم أبينا ذلك، حتى وان كان العمل الفني يشير الى شيء واقعي واضح المعالم.

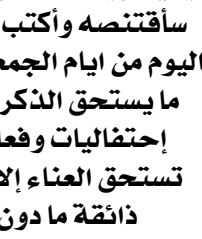

هذا ما يحدث بالضبط للفنان الذي يتعصب للطريقة التي يرسم بها فقط او ينفذ بها اعماله، لا يرى غير وردته حتى وان ذبلت.

قلق الثقافة وحصيلة الأدب

ياسين طه حافظ

أحياناً أحس بضرورة الكتابة في موضوع ، ثم ارتد بسبب ما اقرأ عما يقاربه فاشعر بملل من التكرار وكثرة التقولُ فيه. لكني يوماً بعد يوم تتجسد أمامي ظاهرات أحاول غض النظر عنها وهي تتسع بشكل صعب تجاوزه. من هذه انحسار الاهتمام الحيوي والحقيقي بالادب. وكونه انحساراً عن أدب اليوم والنتاجات القريبة منا زماناً ومكاناً، مقابل بقاء الكلاسيات، بل الشوق اليها وطبعات جديدة بأعداد واضحة تعود - هذا يعني اننا بأزاء إشكال مركزي له علاقة بالإقناع. وإن ثمة فقر في محتوى الكتابات الجديدة ومحدودية آفاق، لا سعة وانفتاح آفاق تدعوان القراء اليها.

شعرت بهذا أولاً من انحسار قراء الشعر. وما يطبع منه يدفع الشعراء أنفسهم ثمنه ليوزعوه من بعد مجاناً. ونسبة مايقرأ من هذا المجاني لا أظنها تتعدى الخمسين بالمائة، وهذا أغلب الظن كثير... هناك بضعة شعراء تتبناهم دور النشر إما لاعتبارات الاسم والتاريخ وإما لاعتبارات ودية أو تقديرا للاسهام والتعاون في كتابات اخرى.

في هذه السنوات الاخير نفسها تسارع الانتاج الروائي ولا أحد ينكر امتياز بعض منه لكن سرعان ما طغى عن الحاجة وبدأت تتكوم العنوانات وبدأ التباطؤ في البيع. وعدا استثناءات محدودة، الباقون، وهم الكثر ،يطبعون على حسابهم الخاص، وهم، كم نلاحظ في وسائط التواصل، يعلنون ويمجدون وينبهون لأهمية العمل وان فلاناً كتب عنه والصحيفة الفلانية قالت فيه.. وهكذا الاعمال المهمة التي لفتت الانتباه ، بدأ ما تبعها يخفت وتكدست الروايات لدى الباعة اذ استسهل الكثيرون كتابتها وطبعها كما استسهلوا الشعر مذ صار نثراً، فكسد ذاك وكسدت هذه.

هذا موضوع يحتاج الى بحث موضوعي يستكشف أسبابه الاجتماعية والثقافية. صحيح نحن نرى حضوراً شفاهياً لشعر الاستياء السياسي وهو امتداد لما كان من شعر خطابي في هجاء الأوضاع الاجتماعية وظروف العيش المزرية وفساد الحكم، في هذا استجابة لهموم الناس حنقهم وله مستمعوه. والى جانب هذا نجد بعضاً من شعر الحب او المكبوتات الجنسية وغالبه سطحي فقير المضمون حد الأسف.

لكننا، عموماً، بصدد أدب له أبعاد فكرية ومضمون حضاري، ومدى تأملي. كما نطمح الى اجتهاد اسلوبي وفن شعري متقدم، لا أن يظل شعر غضب وإثارة قريباً من الشعبي ، نحن نريد ادباً تهمنا قراءته ونبحث عنه لنشتريه !

فهل يكون هذا الافتراض وراء العودة لقراءة الآداب الكلاسية والأعمال التي تعود الى القرن التاسع عشر أو انه وراء التشوق الكبير والواضح للنتاج الحديث المترجم؟ وهل السبب أن ذاك يقدم فناً أدبياً أكثر تماسكاً ومحتواه أكثر غنى وأبعد دلالات؟

حقيقة، أنا لا أستطيع، بدرايتي المحدودة أن أقطع برأي وأحيل كل ظاهرة الى أسبابها، لكن وأنا اقرأ وأسمع، أحس بفقر واضح في النتاجات المطروحة والاستثناءات الاجتهادية القليلة هي بقية نار تقول بأن الابداع مايزال وإن الموقد يتقد وثمة دفء وحتى النقد الادبي المصاحب لهذه النتاجات، فبالرغم من تقديري لذكاء ومتابعات مجموعة طيبة من النقاد الجدد ومن اسهامات بعض من الاكاديميين العلمية الرصينة، نحن أيضاً نشهد الكم الكبير من اللافلية، ونشهد ايضاً استغفال الناس بامتصاص كتابات نقدية مترجمة معروفة وإعادة كتابتها بتطبيقات محلية، ولا أظن احداً من المعنيين بالأدب غافلاً عن استهلاك مراجع لا تتعدى المائة والمائة وعشرين مرجعاً في الرسائل والاطاريح والدراسات. هذا فقر آخر، لكنه لا ينسبنا الكتابات الذكية والاجتهادات المحترمة وان كانت قليلة وسط هذا الكم .... اذاً هي الظاهرة نفسها في الشعر وفي الرواية وفي النقد.

وما أزال أرى أن تتولى المسألة دراسة اكاديمية، علمية، لاحماسات وادعاءات ولا أراء شخصية قد تتغير من قاريء الى آخر. تريد أن نعرف وأن نفهم الظاهرة ولتصويب نظرنا الى المشهد، كما هو لا كما افترض ويفترض سواي. فهل لي، وقد بدأت الكلام أو الإشارة الى الظاهرة أن أقول بسبب؟ حسناً، إذا قلت بشيء وغيري يرى شيئاً آخر وثالث ورابع، سنكون على بينة أو على بعض العلم.

شخصياً، أرى ارتباكاً ثقافياً وأن المُنتِجَ الادبي، وهو بطبيعته مرهف سريع وعميق التأثر، واجه خضات اجتماعية مرعبة مؤسفة، فما أن انتهى من ارباكات وخوف ورعب وامتهانات السنوات التي اعقبت ١٩٥٨ واعقبت انتقامات وتصفيات ١٩٦٣، والحروب وعسر مابعدها، واجه قصف البلد ومنشأته ومعه سلامه وأحلامه. ولم تشف بعد الآمه القديمة ودماره النفسي، حتى اهالت السنوات الأخيرة الوحل واغلقت الطرق بمخلفات القرون الوسطى.

ستقول هذا شأن اجتماعي ونحن نتحدث عن الظاهرة الادبية والابداع الجديد أقول: نعم هذا أربك التراكم الثقافي وبعثر توالي الرؤى وتقدم المنظور الروحي والعقلي، وأضاع على الناس أوقاتهم التي كانت للقراءات الطويلة الجادة حتى إذا استيقظوا وجدوا جديداً مترجماً يصل، وانهم ينتقلون في القراءات من زمن الى زمن تحت رحمة مايصل اليه من كتب مترجمة مختلفة الموضوعات والمصادر.

والملاحظ ان كلما شهد الوسط الثقافي كتاباً مترجماً ذا نوعية فريدة متقدمة او جديدة وجدنا اصداءه في الكتابات المحلية، فلا تمضي فترة سكون وتكرار حتى يهز الركود كتاب مترجم مهم، ويحفز على الكتابات موضوعه واجوائه.

لامؤاخذة على هذا، على العكس هو دليل نشاط فكري وقدرة على الاستيعاب والتوظيف ويشير الى ظمأ الادباء الى الجديد ويحفزهم الدائم وتسابقهم للتطور. التثقيف بالجديد واقع حال في الشعر والرواية والنقد وهذا يعني ايضا، ومن غير شك، الفقر في ثقافتنا والحاجة الى نضج الآخر وغناه. نحن ناس موضوعيون نريد أن نقرر حقائق ولا بأس من ان يضيرنا بعض الكلام.. كيف يمكن اذاً ، ان نغير آليات التثقيف والتواصل مع الجديد المتوالي، والذي لايصلنا منه، للاسف، الا النزر، ويصل متناثراً؟ هذا موضوع يحتاج الى مؤسسات وبرامج. لتكن لهذه المؤسسات مشاريعها الابعد، لا بأس، نحن نريد ان نطلع على جديد الاكاديميات ومنتجي الادب الكبار والنظريات والبحوث الجديدة. واظن التوسع في التمكن من اللغات الاجنبية الرئيسة سيكون تمهيدا جيداً ومفيداً للمستقبل. الكاتب البريطاني يعرف في الاقل ثلاث لغات، لغته الانكليزية والفرنسية والالمانية او اللاتينية. والكتب المهمة من كل لغات العالم مترجمة الى لغته تتوالى امامه في المكتبات كل يوم. ماذا بين يدي الكاتب العراقي؟ هذه بضعة الكتب المترجمة التي تصل، منها القديم ومنها الجديد ومنها الترجمة المسخ !

ضمن انغلاق الدائرة هذه والظروف السيئة والمدمرة للذوق والمدنية والزمن الثقافي، برز كتاب واضحو التمكن. ماذا لو احاطتهم ظروف مثالنا الكاتب الانجليزي وآداب العالم وافكاره، ومن كل اللغات، مترجمة تتوالى عليه فلا يدري ما يختار وما يقرأ؟ أظن الافتقار الى هذا الخصب يعني هذا الفقر الذي نشكو منه...

موديلياني .. حيث تَنبت من المأساة الروائع الفنية

ترجمة / عادل العامل

يقام حالياً في غاليري Tate Modern بلندن معرض للفنان الإيطالي أميديو موديلياني Modigliani (١٨٨٤-١٩٢٠) الخاص بالصور الشخصية من أعماله الفنية. وكان هذا الفنان قد أتى من ليفورنو إلى باريس في عام ١٩٠٦ حاملاً في داخله طموحاً مشتعلاً لأن يكون فناناً بارزاً. ويشتمل المعرض، الذي افتُتح يوم ٢٣ تشرين الثاني ٢٠١٧ وينتهي يوم ٢ نيسان من هذا العام، على صورة فردية صغيرة من دون ألوان نسبياً رُسمت في عام ١٩١٥ للفنان نفسه - وهو الشكل السوداوي، التراجيدي - الهزلي الذي طُوِّر كثيراً ليجسّد المتابعة الطائشة والجاحدة في الغالب لصناعة الصور، كما يقول مايكل غلوفر في مقاله هذا.

ويقدم الغاليري في المركز الإبداعي لهذا العرض، وهو الخامس، تسع منحوتات عملها الفنان على مدى العامين ١٩١١ - ١٩١٢. أما لماذا هذا العدد القليل، فربما لأن الربو في طفولته كان عاملاً محبطاً في تعامله مع كتل الأحجار الكلسية المستخدمة في النحت والتي يضر غبارها برئتيه الضعيفتين أصلاً. مع هذا فإن هذه الرؤوس الصغيرة المعروضة مدهشة ، وتبدو توقعية، بمعنى أنها تطرح أنفسها باعتبارها توازناً متّزناً بلطف بين الحديث والقديم.

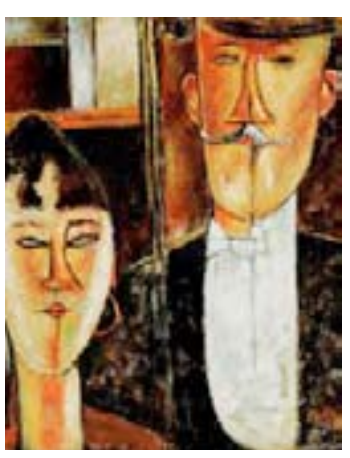

لقد كان مدى عمل الفنان ضيقاً - لكن كم هو جميل بشكل لا ينضب دلك الأفضل في أعماله الذي استطاع أن ينجزه عبر حياته القصيرة! فقد توفي موديلياني من الإدمان على المسكرات، ومرض السل، وتعقيدات تعيسة أخرى، وهو في سن ٣٥ عاماً. وانتحرت بعده بأيام شريكة حياته الحامل بطفلهما الثاني، جيني هيبتيرن، التي رسم لها العديد من اللوحات الرائعة. ولا شيء من حياته المأساوية تلك قد نال من عبقريته التي اتّسمت بها طريقته المميزة جداً في عمل الصور الشخصية. فنحن نجد، حتى في الأعمال الأخيرة جداً، وكأن يده وعينه قد ظلّا في معزل عن الخلل الذي أصاب بقية جسمه.

لقد كان المجال صغيراً إلى حد ما، وهكذا تراه ينطلق خارجاً ملتمساً أن يبدع شيئاً فريداً بحالة غير عادية من التجاوز - غالباً ما كان يُرسم بشكل سريع جداً. وقد نجازف، إذا ما وصفنا بعض مميّزات هذه اللوحات بالنزول إلى مستوى الكاريكاتير. لكن دعونا نفعل ذلك على أية حال: فهناك الجسر الممدود كثيراً للأنف النحيف، مع انعطافة؛ والعنق العمودي الصاعد أبداً؛ وزرقة العينين الغائمة على بياض؛ وتلك الوجوه، المشكّلة مثل حلوى مغلية ممصوصة بلطف. وكذلك اللون المميَّز أيضاً. والحصيلة شيء مميَّز على نحو غير عادي إلى حد أن من المستحيل أن يُخطئه الواحد مع فنان آخر، وإن كان من الممكن مع هذا أن يستدعي للذهن ذلك المزيج الغريب من القديم جداً - المصري، مثلاً - والحديث على نحوٍ جريء تقريباً.

عن / The Independent

في شارع المتنبي

بغداد / المدى

الشارع مزدحم بقدر زحام الافكار في أرواحنا، ضجيج النَاس يتصاعد بقدر وجعهم وثورة أحزانهم التي تعلو وجوههم، وتخنق عبراتهم وتتصاعد إلى ظهورهم فتثقلهم حملاً ، لم يكن هنالك من يرتقب سوى الصمت المُركن أو غير الموجود، والأنفاس المُتصاعدة من لهاث سرعة الخطى، وأنا التي أراقب يميناً ويساراً محاولة البحث عن ما سأقتنصه وأكتب عنه إلا أن ذلك اليوم من ايام الجمعة لم يكُن هنالك ما يستحق الذكر في الواقع.... إحتفاليات وفعاليات باردة لا تستحق العناء إلا انها قد تُرضي ذائقة ما دون سواها....

وسط الشارع

وسط شارع المتنبي لن نجد سوى الكتب التي يتفرش باعتها الأرض بها، في صمت وانتظار، وبعض المارة الذين يقلبون بصفحات الكتب، والكثير من المارة الذين يقفون عند عربات بيع الاطعمة والعصائر " فنحن نبحث عمّا يُشبع بطوننا قبل عقولنا" نهاية هذا الشارع وقبل الوصول الى المراكز الثقافية وبين مدخل سوق السراي ومبنى الشابندر سنجد مجموعة من الشباب الذين يقفون حاملين لافتتاتهم التي يُكتب عليها "بصمة خير" أو "بصمة امل" يحاولون من خلال إيمانهم بقضية ما جمع أموال من تُعساء لإعطائها لتُعساء اخرين...

"التصوف وجمال الروح"

عنوان جلسة اقيمت في المركز الثقافي البغدادي ضمن فعاليات يوم الجمعة في شارع المتنبي، حاضر خلالها كل من د. بشرى الهلالي، د. نظلة الجبوري، د. محمد الواضح، ومدير المركز الثقافي طالب عيسى، وتحدث د.محمد الواضح عن التصوف وأهميته كمشروع انساني تنموي وروحي ذاكراً "أننا من خلال هذا المشروع سنحاول ان نشجع ثقافة التسامح والجمال والتسامي الانساني والارتقاء الروحي،في وقت بات العراق بأمس الحاجة لإشاعة هذه الثقافة الاخلاقية .

لتتساءل د. نظلة الجبوري في حديثها " لماذا شعار الملتقى التصوف جمال الروح؟ لتطلق اجابتها قائلة التصوف جمال الروح في تدرجها من روح التصوف الى تصوف الروح فاذا كانت روح التصوف هي التعبير عن سلوك الصوفي في سفره وترقية الروحي الى الله عز وجل، فان تصوف الروح هو التجربة الشخصية الفردية للصوفي المعبرة عن أحواله ومقاماته وهو في سلوكه الروحي اليه سبحانه، المتحقق: تربويا واخلاقيا وجماليا ولغويا."

جلسة شعرية

كما شهدت قاعة الراحل جواد سليم جلسة خاصة باستضافة الشاعر خليل محمد إبراهيم الذي احتفى به الملتقى الثقافي في المتنبي للحديث عن منجزه والاشارة الى مجاميعه الشعرية خلال جلسة ادارها الروائي صادق الجمل وبحضور عدد كبير من متابعي الأدب العراقي وقد تناول عدد من النقاد الجلسة وشارك فيها د. عبد اللطيف العاني الذي تحدث عن مدى عمق تجربة المحتفى به وتأثيرها في الواقع الادبي العراقي، كما شارك العديد من الحاضرين في مداخلات عديدة .

أغنيات على قاعة شناشيل

وبمناسبة اختيار بغداد عاصمة للاعلام العربي أقامت رابطة مثقفي جلولاء وعلى قاعة شناشيل جلسة ثقافية غنائية ضيّفت خلالها مجموعة من الرياضيين والفنانين والمطربين والمثقفين أدار الجلسة علي الصوفي الذي عبّر عن أهمية هذا المنجز الاعلامي باختيار بغداد كعاصمة للاعلام العربي، وتحدث اللاعب الدولي السابق كريم صدام عن اهمية هذا المنجز عراقيا وعلى كافة الصُعد، كما تضمنت الجلسة العديد من الفقرات الثقافية والشعرية المتنوعة ، إضافة الى قراءة للمقام العراقي بصوت قارئ المقام محمود المندولاي وقارئ المقام ناظم شكر كما غنت الفنانة أمل خضير أجمل أغانيها وشهدت الجلسة حضوراً واسعاً من رواد المركز الثقافي البغدادي .

مجموعتان شعريتان

استضافت الورشة الثقافية الشاعرة جنان الصائغ على قاعة جواد سليم للحديث عن منجزها الشعري ، جلسة ادار حوارها الروائي كاظم الشويلي

قالت الشاعرة جنان الصائغ : صدرت لي مجموعتين شعريتين الاولى " العصافير تنقر نوافذي " ٢٠١٦ والثانية " نبوءة اللون" ٢٠١٦ واليوم احضر في هذه الاصبوحة وتحت وابل هذا العطر عطر حضوركم تقف القصائد خجلى اذ كيف يتسنى لها استقبال وجوهكم الندية بالوفاء ، شكرا لانكم معي تخففون علي وقوفي في هذا الوادي المقدس بأفكاركم النيرة."

وكتب الروائي والناقد حسن حافظ في المقدمة لمجموعة نبوءة اللون ، الشاعرة جنان الصائغ في ديوانها هذا اذا كانوا يقولون إن الحب هو ينبوع الحياة السرمدي وهو ذلك الوهج المقدس المتدفق دائماً ، وإن إي ركود فيه يجعل منه الماء الآسن ؟ ففي لحظات الوهج المقدس ينقلب فيه وعينا البشري الى نبض عفوي يختفي فيه الوصول منشرحاً متفتحاً كالزهرة بين يدي الربيع .